

الحكمة من وجود الأهله

وأخبر أيضا بالحكمة في هذه الأهله، وذلك لما سأل الصّحابة رضي الله عنهم نبهم صلى الله عليه وسلم عنها أنزل الله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } والمواقيت: هي التي يعرف بها موافيت الأشياء . ففي مرور هذه الأيام وكذلك الأشهر مصالح للعباد، موافيت للناس؛ يعرفون بها أوقاتهم فيعرف بمرورها حلول الآجال كالديون ونحوها. وكذلك العدد التي يحتاج إلى معرفة عدة المرأة المطلقة أو المفارقة أو المتوفى عنها، وما أشبه ذلك. وهكذا موافيت العبادات. كالحج والصوم والزكاة موافيتها تعرف بمرور هذه الأشهر، ففيها مصلحة. ولذلك لو لم يكن ذلك لما انتفع الناس ولما يعرفوا وقتهم أي وقت؛ ولذلك يقول تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِنُورٍ أَمْ لَمْ تَكُونُوا أَقْلًا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ لَمْ تُبْصِرُوا وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } يعني: لتسكنوا وترجوا أنفسكم في الليل. { وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } في النهار؛ يعني: غالبا، الأغلب والأكثر أن التقلب والانتشار يكون في النهار، وأن الليل يكون وقت الراحة ووقت الهدوء والسكون والرجوع إلى الاكتنان والنوم وأخذ الراحة. هذا هو الأصل في جعل هاتين الآيتين: الليل والنهار . فلو كان الوقت كله ليلا لما انتفع الناس وتقلبوا في حوائجهم، ولو كان كله نهارا لما حصلوا على زمن يريحون فيه أنفسهم. ولكن من رحمته أن جعل ليلا ونهارا مستمرا يعني: يأخذ هذا من هذا، ويستويان حينما فذلك من تمام نعم الله علينا. هذا من جهة أنها نعمة وفيها منفعة. كذلك فيها عبرة؛ عبرة وعظة؛ وذلك لأننا نرى غروب الشمس وغروب القمر، واجتماعهما أحيانا، وتفرقهما. نرى أنه في أول الشهر يكون الشمس والقمر مجتمعين، من ساعة ما تغرب الشمس يبدو القمر، وهكذا في الليلة بعدها. ثم بعد أيام يكونان متفرقين؛ الشمس في المغرب والقمر في المشرق أو بالعكس. ففي هذا أيضا عبرة وعظة حيث اجتماع في يوم وفي وقت متقارب، ثم تفرقا وتباينا وتباعدا في وقت أيضا متقارب. أليس ذلك دليل على أن الذي يصرفهما ويسيرهما هو الله سبحانه وتعالى؟ المستحق لأن يعبد وأن يثنى عليه، وأن يعرف حق معرفته، وأن يطاع حق طاعته. ففي هذه الأوقات عبرة وعظة، كذلك ما يحدث الله في هذه الأيام والليالي من التقلبات؛ فيها أيضا عبرة وعظة فإنك تشاهد أو يمر بك كل سنة تقلب وتغير في الزمان. في زمن من الأزمنة يكون الوقت شديد البرد لا يقر الناس إلا في أكنة ولبسوس البسة غليظة؛ تقيهم ذلك القبر وذلك البرد الشديد الذي لو لم يأخذوا عدة تقيهم لتألموا ولتعدبوا ولتعرضوا لأضرار تنتج من ذلك البرد. من الذي أحدثه؟ هو أن ربنا سبحانه هو الذي غير الزمان، دون أن نملك نحن لذلك تغييرا، ثم بعد فترة ومدة يسيرة تنقلب الحال فيكون الوقت شديد الحر؛ يأتي حر شديد. قد يفرط وقد يكون متوسطا. هذا الحر الشديد. من الذي أحدثه؟ إن الله سبحانه هو الذي يغيره. الشمس والقمر موجودتان في الشتاء وموجودتان في الصيف، ومع ذلك فإن لكل منهما تأثيرا، وتأثيرهما أن الشمس تفيد الضياء وكذلك القمر يفيد النور، ومع ذلك لم يخفف وجودهما من شدة الحر، ولا من شدة البرد، فذلك دليل على أن الذي قدر ذلك وقبضه هو الخالق وحده، فليس لأحد تصرف فيه. هذه الرياح التي تهب شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؛ الرب تعالى هو الذي يثيرها. لو اجتمع الخلق على أن يسكنوها إذا ثارت وتسلطت لما استطاعوا، ولو سكنت وأرادوا أن يثيروها وأن يرسلوها لما استطاعوا ذلك، ومع ذلك أحيانا تأتي ببرد قارس شديد، وأحيانا تأتي بسموم شديد الحرارة وهي ريح واحدة وليس لأحد فيها تصرف. إذن فالإنسان يعتبر بما يمر به في هذه الأوقات من هذه التغيرات، ويأخذ من ذلك موعظة وذكرى.